مجلة مجتمع تربية عمل

ISSN: 2507-749X EISSN: 2602-7755

https://www.asjp.cerist.dz/revues/414

المجلد:09/ العدد:01(2024) ص ص 222/203

# جوانب من اسهامات حكام بني مرين في الحياة الاجتماعية خلال القرن (7-9هـ/13-15م) بالمغرب الاقصى

# The Social Role of Bani Marin Rulers in Medieval Morocco: Insights from Ibn Abi Zar' al-Fasi's "Al-Anis al-Mutreb" in "Rawd al-Qirtas

خليلي بختة

جامعة غليزان (الجزائر)

*bakhta.khelili@univ-relizane.dz*

**معلومات المقال**

تاريخ الارسال: 2023/02/18

تاريخ القبول:2024/05/04

**الكلمات المفتاحية:**

- ✓ السلاطين
- ✓ المغرب الأقصى
- ✓ المرينيين/ الروض القرطاس

**ملخص:**

هذه الورقة البحثية عبارة عن رؤية تاريخية ارتأينا من خلالها إبراز دور ومساعي سلاطين بني مرين بالمغرب الأقصى في مساعدة العامة والمحتاجين خلال العصر الوسيط، وذلك بالنظر في أمورهم وانشغالاتهم والسعي للتخفيف منها، برفع الضرائب ودفع المفاسد عنهم، وتقديم لهم بعض الخدمات ذات الطابع النفعي كالصدقات ووقف الأوقاف لهم وبذل الزكاة لمستحقيها، وتبقى هذه المقالة مجرد محاولة أولى للنبش عن جهود بعض السلاطين المرينيين تجاه الفئات المنسية والمهمشة في المجتمع المغربي، على أن تعقبها محاولات أخرى من طرف بعض الباحثين حتى تكتمل جوانب الموضوع.

**Article info**

*Received :18/02/2023*

*Accepted :04/05/2024*

***Keywords:***

- ✓ *sultans*
- ✓ *Morocco Far*
- ✓ *Marinids*

***Abstract :***

*This research paper offers a historical perspective on the roles and efforts of Bani Marin sultans in distant Morocco during the Middle Ages, particularly in aiding the general public and marginalized groups. It explores their concerns and initiatives aimed at alleviating societal challenges through strategies such as tax reform, charitable donations, endowments, and public services. This article marks an initial exploration of the contributions of selected Marinid rulers towards marginalized communities in Moroccan society. Future research by scholars will aim to further enrich this topic.*

❖ **مقدمة:** عرف المغرب الاسلامي خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر ميلادي، تغيرا في الاوضاع السياسية، فبعد ان كان موحدا تحت راية الموحد ينتفكك من جديد الى ثلاث دويلات: الزيانية بالمغرب الاوسط، والحفصية بالمغرب الأدنى والمرينية بالمغرب الاقصى، فاستقلت الكيانات السياسية الثلاث من ارث الموحدين.

ويبدوا تناولنا لموضوع حكام الدولة المرينية ودورهم في توفير الامن والاستقرار داخل البلاط المريني يقتضي منا ضرورة اعطاء لمحة عن تطور الحياة الاقتصادية وانعكاساتها على الناحية الاجتماعية. و أشار المنوني (2000) إلى أنّ الدارس للواقع الاقتصادي في المغرب الأقصى في العهد المريني، يدرك مدى حرص واهتمام سلاطين الدولة على انتعاش وازدهار اقتصادها، بهدف تحسين المستوى المعيشي للسكان، وبالرغم من تواتر الفتن والغارات النصرانية، إلا أنَّهم استطاعوا تحقيق الأمن والاستقرار خلال بعض الفترات على حد تعبير صاحب البيان "...فامنوا السبل، وسدوا الخلل، فاتسعت أحوالهم، وانبسطت آمالهم، فصار أهل تلك البلاد يعظمونهم غاية الإعظام، ويعاملونهم بالبر والإكرام"، فقد كان لبني مرين جنوح إلى الخير ومحبة الرعية خاصتها وعامتها.

وتأسيسا لما سبق التمهيد له ارتأينا من خلال هذا المقال محاولة رصد مساعي حكام بني مرين تجاه الرعية ما هي الطرق والوسائل؟ نوعية المساعدات والتبرعات؟ فضلا عن التعريج عن دورهم أيام الفتن والمحن والشدائد.كل ذلك سيكون مستمدا من الاشكالية التالية: فيما تجسد الامن السياسي والاقتصادي وتأثيره على المجتمع عامة والطبقة الهشة خاصة؟ وفيما تمثلت الصدقات والعطاء للسلاطين المرنيين؟ سياستهم تجاه الطبقة العامة زمن المحن والشدائد؟ اهتمامهم بتشييد المرافق الطبية والاجتماعية والتعليمية؟ ومن اجل إعطاء الإجابة على هذه الأسئلة توجب علينا الاعتماد على المنهج التاريخي التحليلي الملائم للسرد والوصف والتحري عن مختلف الاسهامات المادية والمعنوية للحكام والصلحاء المرنيين، وكذا المنهج الوصفي القائم على وصف بعض الحالات الخاصة الميؤوسة الحال من افراد المجتمع ومدى تقديم المساعدات لهم .وسنختم مقالنا هذا بجملة من الاستنتاجات حول اهتمام حكام بني مرين للرعية، ودورهم في تحسين المستوى المعيشي للطبقات الهشة.

## ❖ لمحة عن الدولة المرينية:

▪ **النسب والتأسيس:** بيّن دينار (1286) أنّ نسب بني مرين يرجع حسب المؤرخون الى شعوب بني واسين المنتمين الى قبيلة زناتة، ابتداء من ظهور بني مرين سنة 613هـ/1216 م ايام الامير الاول عبد الحق بن محيو ،ثم قامت الدولة بصفة نهائية حسب الفاسي (1972) سنة 616هـ/1219م، في عهد عثمان بن عبد الحق، الذي وافته المنية سنة 638هـ، ثم قام بأمر بني مرين اخوه محمد بن عبد الحق تبعا لإبن خلدون (2000) فاتبع سنن اخيه في جعل المغرب تحت رايته، بعده تولى ابوبكر بن عبد الحق امر بني مرين. ولما ولي هذا الاخير امرهم سنة 642هـ قام بتقسيم بلاد المغرب وقبائل جبايته بين عشائر بني مرين، وهو الذي افتتح مكناسة وطلب منهم ان يقدموا لابي زكريا بن ابي حفص صاحب افريقية، كما عمل على فتح حصون ملوية وهو الذي جند الجنود وضرب الطبول ونشر البنود وملك الحصون و البلاد فكان عنوان سعد بني مرين (أورد في : الفاسي، 1972).

▪ **المجال الجغرافي:** فيما يتعلق بموطن بنيمرين، أشار بدوي (2010) حسب الاطلاع على المصادر سواء الجغرافية او غيرها، فان هي تضح ان بني مرين لم تكن لهم بقعة جغرافية محددة يقيمون فيها، وقد ذكر التلمساني (1981) أنّ كثير من المؤرخين يرون بان بني مرين وجميع قبائل زناتة يسكنون بين مدينة تلمسان نوتاهرت، ويجاورهم في السكن بنو يغموراسن وبنو تجين و بنو مغراوة وبنو راشد(مجهول، 1979، ص 66)، حيث أكد المشرقي (2005) أنه كان اصل موطنهم بين غدامس والسوس الاقصى، وهذا ما يلائم حياتهم البدوية. وبحلول سنة 610هـ،يروي الفاسي (1972) انهم اضطروا الى مغادرة موطنهم بسبب الخلاف الذي وقع بينهم وبين ابناء عمومتهم بني عبد الواد ،فسكنوا المنطقة المطلة على واد ملوية، فانتشروا في المنطقة المحصورة ما بين فجيج، وسجل ماسة، وادي ملوية، وكانوا يصلون لمنطقة الزاب في بعض الأحيان.

▪ **المجال السياسي:**أكد السيراج (بدون سنة) أنّه بعد وفاة ابو بكر خلفه ابنه عمر فانقسم حينها بنو مرين على انفسهم بين موالين ورافضين وانتهى ذلك الخلاف بتولية ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق الذي سار على نهج سياسة اخيه ابي يحي في التوسع وبسط النفوذ المريني ، شهدت فترة حكمه وفقا للفاسي (1972) العديد من الثورات الداخلية والخارجية،

فقد عقد لابن اخيه محمد على حملة عسكرية من بني مرين والمتطوعة لجهاد النصارى في الاندلس ، حيث يعتبر اول حملة واول جيش لبني مرين عبر الاندلس (659هـ/1261م)، فيما كانت الجيوش المرينية تواصل حملتها في الاندلس، تقدم ابو يوسف يعقوب فاستولى على ريف تامسنا ، وانتصر على الموحدين سنة 660هـ/1262م .

لم تتوقف جهود بني مرين في الاستلاء على مراكش سنة 663هـ/1264م حسب ما جاء به الفاسي (1972)، تقدم ابو يوسف عبد الحق نحو مراكش وواصل تقدمه نحو احوازها ، بعدها عاد الى فاس ، ثم توجه الى الجنوب لمواجهة الموحدين واستطاع التغلب على ابو دبوس، وبسقوط مراكش في قبضة ابو يوسف يعقوب وبالتالي انتهى عصر الموحدين ، بعدها حاول هذا الاخير التوجه الى تلمسان لاخضاع يغمراسن بن زيان. و يذهب المنوني للقول (2000) أنه امتدت قوة الدولة المرينية حتى ايام ابي الحسن ، بعدها شب الضعف في جيش الدولة بعد موقعتي طريف والقيروان حيث انقطع العبور المريني الى الاندلس ومن هنا بدا التفوق البرتغالي والاسباني في القوى البحرية والبرية ومنه دخلت الدولة المرينية مرحلتها الثالثة بعدها تعرض المغرب اواخر العهد المريني لاحتلال بعض شواطئ).

وتاسيسا لما سبق ذكره يمكن القول ان قبيلة بني مرين استطاعت ان تتحول الى دولة مستقلة ذات كيان سياسي، وذلك بفضل وجود سلطة سياسية قوية ذات نظام محكم والذي ساعدت على تثبيته الظروف مثل ضعف الموحدين واضمحلال دولتهم وسقوط عاصمتهم مراكش على يد المرنيين، مما اعطى للحكام المرنيين فرصة تثبيت دعائم دولتهم بالمغرب الاقصى.

❖ **اوضاع الفئات العامة بالمغرب الاقصى:** البحث عن اوضاع الفئات العامة بالمغرب الاقصى لازال يكتنفه الكثير من الغموض بسبب قلة المادة المصدرية التي اهتمت بمثل هك ذا مواضيع . ظلت هذه الفئات مهمشة قابعة في زوايا الاهمال والنسيان، فحتى المصادر ال تي صمدت لقرون من الزمن وصلت الينا سالمة غانمة لنستقي منها معلومات هي في الغالب مصادر بلاطية رسمية لم تحفل سوى بالتاريخ السياسي والعسكري.

❖ **اهتمام السلاطين المرنيين بتحقيق الامن السياسي و الاقتصادي و تأثيره على المجتمع و الطبقة العامة:** كان أكثر من شجع واهتم بعلو كعب الدولة المرينية الأمير تبعا للفاسي (1972) أبو محمد عبد الحق الذي كان معروفا بين عشيرته بالورع والعفاف والصلاح، ومما قيل فيه أيضا أنَّه مخلص العهد مع رعيته، وقاهرا لأعدائه حفاظا على سلامة وامن دولته. كما نحى منحاه ابنه الأمير عثمان بن عبد الحق في شدته وعزمه على بناء صرح الدولة المرينية، فهذا الأمير ردَ الاعتبار لدولته والنظر في مصالح رعيته فبادر بأخذ البيعة من القبائل المجاورة لحفظ الأمن مستخدما أسلوب الترغيب والترهيب فمن أطاعت له أمنها وألزمها الخراج واخرج لهم الحفاظ، ومن كانت غير ذلك فتح بلادها بالقوة، فحسب قول ابن أبي زرع الفاسي " فلم يزل على السنن قويم، والهدي المستقيم، حتى أتاه اليقين ".

و يضيف الفاسي (1972) أنّ السلطان أبي بكر بن عبد الحق (642هـ/1244م) بالمثل واصل والذي يعتبر في نظر بعض المؤرخين المؤسس الحقيقي للدولة المرينية، بَعْث دعائم الدولة، وسعى إلى تنظيم البلاد إداريا، وماليا، وسياسيا، مما مكن للدولة تأسيسا واستمرارا، فقد عمل على تقسيم البلاد المرينية بين قبائلها حتى يستتب الأمن ويعم الرخاء، وصاحَب هذا الإشراف الإداري تكليف مالي، حيث أصبحت كل قبيلة مسئولة عن جباية المنطقة التي تتبعها، وكان على شيوخ القبائل مهمة تنظيم الفرسان والعناية بتوفير المقاتلين حتى أصبح حسب قول ابن زرع" أول ملك في بني مرين جند الجنود، وضرب الطبول ونشر البنود وملك الحصون والبلاد واكتسب الطارف والتلاد... فكان عنوان سعد بني مرين".

كما بيّن سعيدان (2003) أنّ في عهده تم الاستيلاء على مدينة فاس التي كانت تحت سيطرة الموحدين، فعمها الاستقرار والتنظيم المحكم، مما أدى بالناس إلى عمارة القرى والمداشر والإسكان بالبسائط، وحراثة الأرض، وبذلك صلحت أمور الناس واغتبطت النفوس، وتهدنت البلاد، وتأمنت الطرقات، وكثرت الخيرات، وتحركت التجارة، وأصبحت فاس عاصمة ومركز حكم الدولة المرينية، فحسب قول ابن زرع كان عنوان سعد بني مرين.

والظاهر بالنسبة للفاسي (1972) هو أن فترة الأمير يعقوب بن عبد الحق (656هـ/1258م) تميزت هي الأخرى بالانتعاش الاقتصادي وحسبنا في ذلك قول صاحب

الأنيس" في السنة التي ولي فيها الأمير يعقوب زمام الحكم انزل الله تعالى على أهل المغرب البركات، وفتح عليهم بالخيرات، فرأى الناس فيها من الدعة والخير ما لا يوصـــف ولا يقوم احد بشـــكره، بيع الدقيق فيها بمدينة فاس وغيرها من بلاد المغرب ربع بدرهم، والقمح ســـتة دراهم للصحفة والفول وجميع القطاني مالها سوم، ولا يوجد من يشتريها، والعسل ثلاثة أرطال بدرهم، والزيت أربعون أوقية بدرهم، والكبش بخمسة دراهم، والزيت درهم ونصف للربع، والتمر ثمانية أرطال بدرهم، واللوز صـــاع بدرهم، والشـــابل الطري فرد بقيراط، والملح حمل بدرهم، وذلك ببركة ويمن خلافته وحسن سيرته ونيته".

ما عرف عنه وفقا لإبن خلدون (2000) هو أنَّه كان كريم جواد ذو حزم وعزم في سياسة الرعية، قاهرا للطغاة المفسدين، متوقفا في سفك الدماء، و ذكر الفاسي (1972) أنّ من أعماله طرده للنصارى الاسنيول من مدينة سلا وبناءه السور الغربي لتأمينها من خطرهم، وقد شارك بنفسه في هذا البناء ابتغاء ثواب الله وتواضعا وسعيا في صلاح المسلمين، كما عمل على ضم مدينة مراكش سنة (668هـ/1269م) بعد القضاء على أخر حكم موحدي أبو دبوس حسب ما ذهب إليه السلاوي (1997) وبه قطع ملك الموحدين ومحا أثرهم، واستقام له الأمر وفتح البلاد من أقصا السوس إلى وجدة، فكان السلطان الذي حمى الإسلام وشتت الصـلبان وغزى الروم فدوخهم وقهر ملوكهم. فتم له ملك المغرب واستقرا أمر البلاد والعباد، وتأمنت الطرقات، وأذعن الناس إلى الطاعة، حســـب قول ابن زرع "فلا ثائر ولا قاطع، ولا مفســد ولا ملحد"، و جاء في إبن خلدون (2000) أنه بذلك دانت له جميع أراضـــي المغرب الأقصى ولم يبق له معقل يدين بغير دعوته.

أثمرت رغبة الســلطان في الجواز إلى الأندلس وفقا للفاســي (1972) لمواجهة خطر اسبانيا النصرانية وتأكد ذلك بسيطرته على مدينة رندة وطريف والجزيرة الخضراء، وقد تكرر جوازه عدة مرات حقق من خلالها عدة انتصـارات، و في هذا الإطار، ذكر العروي (1994) منها انتصارين في سنة 678هـــ/1279م وسنة 684هـــ/1285م اثبت فيهما تفوق البحرية المرينية.

أما السلطان يوسف (685هـ/1288م) حسب إبن خلدون (2000) انصب اهتمامه على توزيع الأراضـــي للقبائل الموالية له في نواحي المغرب فعملوا على اســـتصـــلاحها واســتثمارها، وقام بإجراءات وقائية رادعة للحد من عبث بعض القبائل المســتقرة والمتســلطة على جهات المغرب و جاء الفاسي (1972) بخير مثال لذلك تأديبه لعرب المعقل بصحراء درعة لأنَّهم كانوا يقومون بقطع طريق سجلماسة.

و أكّد السـلاوي (1997) بأنّه من أهم ما يبين سـعة الرزق وحسـن أحوال بيت المال خلال فترة حكمه بناءه لجامع بتازا سنة (693هـ/1295م) والذي علقت به الثريا الكبرى من النحاس الخالص وزنها اثنان وثلاثون قنطارا، فقد كلف بنائه حوالي ثمانية ألاف دينار ذهبا. و أضـــاف الفاســـي (1972) بأنه التفت إلى بناء ما يخدم رعيته وما يحتاجونه في حياتهم اليومية على حد تعبير صـــاحب الذخيرة "بنى بها حماما عظيما وأمر عماله ببناء الدور بها...، وأمر ببناء المدرسة لطلبة العلم فبناها".

و في هذا السياق، زاد المنوني بأنّه كان لاهتمام السلطان يوسف بالناحية الزراعية أثار ايجابية على دولته ورعيته، فقد تخلل ذلك الازدهار تنوع الإنتاج الزراعي ونشاطه كزراعة القمح والشعير في السهول الغربية وعلى الأودية الشمالية الشرقية مثل مدينة فاس ومنطقة دكالة، أما مدينة سلا فقد اشتهرت بزراعة القطن والكتان. و بيّن إبن بطوطة (1997) أنّ اهتمامه كان منصبا أيضا على إنعاش الثروة الحيوانية لأنَّها كانت تقدم في بعض الأحيان على شكل هدايا فقد هدي السلطان يوسف هدية من قبل السلطان محمد بن قلاوون تمثلت في الخيل والبغال والإبل.

و أظهر شـــريف( 2006) أن نباهة الســـلطان يوســـف جعلته يلتفت ويوجه نظره إلى قطاع الصـــناعة كذلك، وخاصـــة الصـــناعة الحربية لمواجهة الأخطار لاســـيما أن حدوده الشـــمالية والغربية كانت دائما عرضـــة للاعتداءات الخارجية، ولهذا كان تركيزه الكبير على صناعة السفن مثل دار صناعة السفن بسلا والتي كانت موجودة على عهد أبيه فزاد اهتماما بها ، و يزيد الأعرجي (2004) أنه اهتم أيضا بصناعة الأسلحة النارية كالمنجانيق.

ويبدوا أن قطاع التجارة ظل ركنا أساسيا في برامج السلاطين المرنيين حسب الفاسي و المطرب (1972)، لأن التجارة تعتبر ركيزة الاقتصاد، فقد أولى السلطان يوسف عناية كبيرة

بها ويظهر ذلك من خلال إجراءاته تجاه التجار فقد أمن لهم الطرق بصـــرف عنهم عرب المعقل بصـــحراء درعة ، بيّن التوازني أنّ الرؤســاء جعلوا على التجار يســمون بالأمناء، و أضـاف الفاسـي (1972) أنه عمل على بناء الأسواق على حد تعبير صـاحب الذخيرة "وبنى في المدينة الأســواق من باب القنطرة إلى باب عيون صــنهاجة"، و ذكر إبن خلدون ســوق مدينة المنصورة كمثال بتلمسان فقد امتلأت بالتجار من جميع البلدان.

و في نفس الســـياق، أكد الأعرجي (2004) أن تدعمت علاقاته التجارية مع الممالك الاسبانية النصرانية التي سعت في طلب الحبوب المغربية بكميات كبيرة ذات الجودة العالية، الأمر الذي أدى به إلى تحديد سـعرها دون تخليص الرسـوم عليها، وهو أمر محفز للنهوض بالاقتصــاد المريني، فضــلا عن تصــدير مواد أخرى كالجلود والأصــواف والمنسـوجات وفق اتفاقيات ومعاهدات مع مصـر والحفصـيين وجنوة الايطالية والمشـرق، وهي علاقات فسـرت ووضـــحت مدى نجاح التجارة التي عادت بالفائدة على الاقتصـــاد المريني وبالتالي تحقيق الرخاء وتحسين المستوى المعيشي للسكان.

أما في المجال العمراني، فقد أشـــار الســـلاوي (1997) إلى أنّ مظاهر الحضـــارة والعمران ازدهرت خلال فترة حكمـه ومن أهم مـا دشـــنـه بنـائـه مـدينـة المنصـــورة عـام (700هـ/1300م) بجانب تلمسان المحاصرة وأحاطها بسور وأسواق ودور عظيمة ومارستان ومسـجدا ، وتنامت جهود ومسـاعي سـلاطين بني مرين وفقا للفاسـي (1972) نحو تحقيق الأمن والرخاء للرعية، فهذا الأمير ملك الزمان وســـراج الأوان أبي ســـعيد عثمان المريني (710-731هـ/1310-1331م)، كانت أيامه كلها خير وبركة للرعية، صلح حالهم وكثرت خيراتهم فكانت الرعية بحمد الله بها في "جنات ذات منزل رحب، ومنزل عذب، وظل ظليل، وحرز كفيل، وخير كامل، فكان متخذا الحق في إمامته، رافعا لدعوة المظلوم حجابه".

كما وجه عنايته تبعا للســـلاوي (1997) إلى تطوير الأســـطول البحري لمواجهة المد الاسـباني النصـراني فأمر ببناء الأجفان (السـفن) بدار الصـناعة بمدينة سـلا برسـم جهاد الفرنج. و ورد في الفاسي (19972) أنه كان قد أمر ببناء حصن تاوريرت وبناء سور مدينة كرسيف كحماية لمرافق دولته.

وكان حال السلطان أبو الحسن المريني (731-752هـ/1331-1351م) حسب السلاوي (1997) لا يقل عن سابقيه من السلاطين في البر برعيته والسهر على توفير الأمن والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي لهم، فقد أشادت المصادر المرينية وغيرها بما صنعه من صنيع لرعيته، إذ شهدت فترة حكمة التوسع والقوة بمحاولته توحيد بلاد المغرب الإسلامي من خلال بسط نفوذه على كل من المغرب الأوسط والأدنى ، والتفت إلى بناء الأساطيل لمواجهة االمد النصراني حسب قول السلاوي "إن الأساطيل التي سار بها في حملته بلغت الستمائة قطعة" و أضاف ابن بطوطة (1997) واهتم كذلك بتحصين القواعد البحرية في جبل طارق حسب قول ابن بطوطة "فتطوفت على الجبل فرأيت عجائب ما بنا مولانا أبو الحسن، وما عد فيه من العدد وددت لو كنت ممن رابط فيه طول العمر".

و ذهب المنوني (2000) إلى أنّ من أهم أعماله الخيرية التي قدمها لرعيته تأسيسه لقبة العدل في كل من سبتة وتلمسان لسماع الشكايات ورفع المظالم حينما يكون بإحدى المدينتين، وكان يتولى الأمور فيها بنفسه، أو يعين من يثق به من كبار أهل حضرته من الوزراء والفقهاء ، وكان أثناء انتهائه من القراءة مع فقهاء حضرته ينتهي إلى الحديث عن ما يهمه من حوائج المستضعفين وقرى الواردين حسب قول ابن مرزوق (1981، ص137) "وفي غير يوم الركوب يجلس...، فتعرض عليه القضايا، ومهمات الشكيات" وقوله أيضا فيه "وان كثرت الشكايات ورقاع الوقائع، نترك كل عمل ونشتغل بقراءتها والتوقيع عليها الأهم فألاهم، فكانت أوقاته كلها معمورة إما بعمل بدني أو تدبير في مصلحة".

و بالنسبة لإبن مرزوق (1981) يبدوا أنَّ فترة السلطان أبو الحسن المريني تميزت بالرخاء وسعة الرزق على الناس وذلك لاهتمامه الكبير بجهاز العدالة فمما ورد في خصاله أنَّه كان يطبق حدود الله حتى مع أبناءه حسب ابن مرزوق "بلغه أن ابنه الأمير أبي مالك شرب الخمر فبحث عن ذلك حتى صح الأمر فاحضر القاضي وأقام عليه الحد فاقلع عن ذلك".

و في نفس الإطار، بيّن مرزق (1981) أنّ أهم أعماله الجليلة هو تعمير طريق الحج للركاب والمسافرين من حضرته بفاس إلى مراكش والى تلمسان والى سبتة وغيرها من البلاد، بخيام يأمر بسكناها على مقدار اثني عشر ميلا يسكنها أهل الوطن ويجري لهم في ذلك

إقطاع من الأرض يعمرونها على قدر الكفاية، يلزمون فيها ببيع الشـعير والطعام وما يحتاج إليه المسافرون من الادم والمرافق التي يضطرون إليها هم وبهائمهم ويحرسونهم ويحوطون أمتعتهم ن فكان المسافر لا يخاف في ذهابه وإيابه.

و أكد المنوني (2000) أن السلطان أبو عنان فارس(749-759هـ/1348-1358م) سـار على نفس النهج، فعمل على تجديد الأسـطول المريني ، و كشـف النميري (1990) بأنه صـرف عنايته إلى الاهتمام بالعلم وأهله فقد زود مدينة فاس بأكبر خزانة للمطالعة عرفتها العاصـمة العلمية في عهد بني مرين ، كما أشـار حركات (1978) بأنّه ودشـن المدرسة البوعنانية وهي من أجمل مدارس بني مرين وخصص لها احباسا عديدة منها حمام ومنزل مجاور ورحى بجانبها وفرن وإسطبلات ودكاكين وحوالي أربعة وسبعين دكانا من اجل الإنفاق على طلبتها وأساتذتها وقومتها.

أما فترة السلطان أبو فارس(767-774هـ/1365-1372م) فتبعا للسلاوي (1997) اسـتطاع أن يعيد للدولة المرينية حيويتها بعد أن كادت تتلاشـى فقد قضـى على المسـتبدين بالدولة الذين زرعوا الفتنة في البلاد ، و أضـاف ابن خلدون (2000) بأنه عمل على استرجاع الجزيرة الخضراء بعد أن كانت بيد النصارى ، و ورد في ابن الأحمر (1962) بأنه اسـتطاع إعادة المغرب الأوسط تحت سيطرته وعمل على نشر الأمن والطمأنينة في وسط رعيته ، وكان محبا في الخير وأهله.

▪ **سـياسـة السـلاطين في دعم الطبقة العامة زمن الكوارث والمجاعات:**أكد السـلاوي (1997) بأنّ الحروب بين الدويلات الثلاث (المرينين، الحفصـيين، الزيانيين) لقد أدت وما انجر عنها من محن وخراب ودمار وجدب، بالإضـافة إلى الفتن والنزاعات بين حكام المنطقة ، وكذا اعتلاء بعض الخلفاء الضعاف الحكم، خاصة مع نهاية عمر الدولة، وهو الأمر الذي مكن بعض الوزراء والولاة بفرض ضـرائب ومغارم مجحفة أرهقت عاتق الرعية لاسـيما محدودي الدخل، بالإضـافة إلى تأثير بعض الكوارث التي اصـابت المنطقة بقحط وجفاف ومجاعة وفقر. إلى وضع إنسان المغرب المريني في وضع حرج، وسط محن وشدائد وظهور منكرات ومفاسد، ولكن هذا لا يعني أن خلفاء الدولة المرينية كانوا على نفس الوتيرة بل قيض

الله منهم سلاطين عرفوا بصلابة الرأي وحب الخير والبر بالرعية زمن الشدة والمحنة، فكان لهم الاهتمام البالغ بشئون رعاياهم، فاتجهوا إلى إعمار المدن، وإصلاح البلاد، وفرض العدل وبعث الأمن، وتحبيس الأوقاف وبناء المارستان خدمة للمرضى، وصرف الأموال للمحتاجين والفقراء، ومدهم بالزروع أيام المجاعات والقحوط، وعمدوا إلى تشييد المدارس والمساجد، حتى ساد الأمن والنظام، وانتعش الاقتصاد في البلاد.

لاشك أن الحضور الفعال للخلفاء المرنيين زمن المحن والشدائد كان السمة الغالبة على معظمهم، فبقدر ما تعاظمت الشدائد والمحن على الناس تعاظم دورهم، فهذا السلطان يوسف الذي عرف بسخائه ومواقفه المشرفة أيام حدوث الأزمات والكوارث فقد بلغ عنه أنَّه كان يوزع الحبوب والمؤن عندما أصاب القحط البلاد واطعم الناس خوفا من المجاعة عقب سنوات (687-693هـ/1288-1293م).

وبالمثل برز حسب الفاسي (1972) دور أمير المسلمين أبي سعيد عثمان المريني (710-731هـ/1310-1331م)، وذلك بتقديم مساعدات أيام الكوارث فقد تزامنت فترته مع قحط شديد، فاستسقى الناس له فخرج أمير المسلمين إلى إقامة سنة الاستسقاء (711هـ-1312م) تواضعا منه واقتداء بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فقدم بين يديه الصدقات لذوي الحاجات، وعظم دوره أيضا من خلال تقديم مساعدات للناس اثر مجاعة (724-725هـ/1226-1225م) حسب قول ابن زرع "كانت المجاعة بالمغرب، وارتفع السعر في جميع البلاد، وغلت الأسعار في جميع الأمصار، فوصلت صحفة القمح تسعين دينارا، ...وصنع أمير المسلمين في هذه الشدة والمجاعة مع رعيته من الخير ما لا يقدر واحد على وصفه، فتح لهم أهراء الزرع وأخرجه للبيع، فبيع أربعة دراهم للمد، والناس يبيعونه بخمسة عشر درهما" ، ولم يقتصر على ذلك بل أمر بالصدقات للمحتجين أيام الشدة حسب قول ذات المصدر "فلم يزل يفرقها بطول أيام الشدة، يمر بها الثقات على حارات المدينة فيعطونها أهل التستر والبيوتات وذوي الفاقات والحاجات كل على قدر حاله وضعفه، فكانوا يأخذونها من دينار ذهبا إلى ربع دينار، ولم يزل من يوم ولايته إلا الآن يأمر بالجباب والأكسية في زمن الشتاء والقر للضعفاء والمساكين، وأمر بمن مات من الغرباء أن يجهز ويكفن في الثياب الجديدة ويقام بحق دفنه أحسن قيام".

و فقا لمرزوق (1981) يبدوا أن السلطان أبو الحسن كانت له أيضا إسهامات أيام الكوارث والمحن فقد أشهد عنه ابن مرزوق في قوله "يخرج زرعه المختزن الخاص به، فيقيم به أود المحاويج عموما في كل ليلة بطول الجدب.

ومن جانب آخر أكد الفاسي (1972) بأنّ جهود بعض السلاطين برزت في متابعة أحوال الرعية والاستماع إلى أمورهم برفع الضرائب والمغارم عنهم فهذا السلطان أبي سعيد عثمان المريني عرف بالاهتمام والاستماع إلى أمور رعيته، فكان يباشرها بنفسه فرفع المظالم عن الناس وحط المغارم، ورفع عن أهل فاس مجبى الضرائب على حد تعبير ابن زرع "رفع عنهم ما كان يلزم رباعهم من الوظائف المخزنية كل سنة"، كما كان الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب (685هـ/1288م) متفقدا لأحوال البلاد والرعية، ساعيا إلى توطيد حكم الدولة المرينية بفضل جهوده المستمرة في شتى الميادين. رافعا ولاغيا للضرائب التي كان الفلاح يتحمل وزرها حسب قول صاحب القرطاس "وأزال المكوس ورفع الإنزال عن دور الرعية، وكف أيدي الظلمة والعمال عن الناس، وامن الطرقات، وقمع البغاة، وأباد الطغاة، وصرف اعتناءه إلى إصلاح السابلة، فأزال أكثر الرتب والقبالات التي كانت بالمغرب إلا ما كان منها في الأقطار الخالية، والمفازات المخوفة فخضعت مرين تحت قهره وصلح أمر الناس في أيامه وهو الأمر الذي ساهم في رفع دخل الفرد مما أدى بدوره هو الآخر إلى ارتفاع إنتاج المواد الأساسية.

وتعاظم دور السلطان أبو الحسن المريني (ويسمى أبو الحسنات لشدة رأفته وحسنه مع رعيته) بالنسبة لمرزوق (1981)، فكان اشد الأئمة مسارعة لحسنة يندبها ولسيئة يمحو أثرها، فقامت السنن في مدته على ساق وذهبت أثار البدع ولم يبق لها انتظام ولا اتساق وفي ذلك أمثلة ما محاه من المناكر ورفعه من المكوس من البوادي والحواضر، فأول ما قام به بمدينة فاس رفع ما كان يرفع من فوائد المروس، كان يؤخذ عن ذلك مال جسيم يصرف في مرتبات النصارى الملازمين للخدمة، وهو مال طائل ينتهي عدد النصارى إلى 2000 أو3000 ألاف فارس، وتصل رواتبهم الخمسين دينارا من الذهب إلى خمسة دنانير ذهبا في كل شهر غالبا، فأمر بإزالته ومحا أثره، كما رفع عن الناس وأصحاب البساتين مكس الخرص

الذي كان عظيم المضرة على الرعية حتى أن البعض منهم قطع جنته بسبب وظيف الخرص الذي يعتبر كغريمة الجزاء بافريقية.

ومن جملة ما نزع عنهم أيضا وظائف استغراق السلع ، ورفع أيضا اكتراء الولاة للبلاد، كما أزال مغرما آخر عن أهل سجلماسة يسمونه الجمون في النخل والزرع، والتزموا بدفع خراج الزكاة والعشر فقط.

ومن عظيم الضرر الذي محا أثره عن الرعية أيضا، رفعه للمغارم التي كانت توظف على جميع الرؤوس أو الأشخاص، صغيرا أو كبيرا، قويا أو ضعيفا حتى الرضيع، مغرما يخصه حتى صارت أخت الجزيات المفروضة على أهل الذمة بل اشد، فاسقط كل ذلك، ورد المغارم على الأموال والأملاك بحسب الجدة والقدرة (ابن مرزوق، 1981، صفحة 284). كما رفع جباية الإنزال في دور المعتبرين بعدوة الأندلس، ونزع عدة ألقاب ومغارم على أهل البوادي لا تحصى ولا تعد كالبرنس والضيافة والإنزال والقاعة والخطيئة وهي كلها حوادث أحدثها الولاة قديما وهلك الخلائق بسببها.

وقد كان من أكبر أعمال السلاطين وسير الملوك، متابعه أحوال الرعية وتفقد شؤون المملكة، والسلطان أبو الحسن كان له ما يميزه في هذا الأمر، إذ ورد عنه أنَّه كان يخصص يومي الاثنين والخميس للنظر في القضايا والشكايا، فيقضي فيها قضاءه، وكان في كل سنة يعين ويتخير الأشخاص المناسبين في من يتوجه لتفقد أحوال الرعية عبر مختلف نواحي البلاد، فترفع إليه الشكايات من كل الأقاليم.

و أشار مرزوق (1981) بأنه كان يكتب للقضاة والخطباء بالبلاد في رفع ما يرفع لهم من الشكايات، ثم عمد إلى الاجتماع بنفسه في كل بلد بعد صلاة الجمعة مع قائدها ووالي قصبتها وخطيبها والعدول بها، للسماع إلى جميع الشكايات التي تورد عليهم وذلك لكي تكون شفافية في إصدار الأحكام، ومتابعة أحوال الناس والسماع لانشغالاتهم عن قرب، فكان السلطان شديد الحرص على الكل، يتبع أسلوب التخويف والترهيب أحيانا مع ولاته وحكام الأقاليم إن تأخر إعلامه بقضية تخص الرعية، فكان دائم المطالعة بما تصله من شكاوي من رعيته ويتعهد بالرد عليها حتى لا يشد عنه شيء من أخبار رعيته حتى أنَّه كان يباشر ذلك بنفسه.

وكان السلطان أبو الحسن حسب مرزوق (1981) يركب ويشق وسط البلدان لمعاينة الأمور فقد ورد عن ذلك أن حضـرته كان ذاهبا إلى تلمسـان العليا فقال له ابن مرزوق "هذا الطريق أخلى من الناس وهذا الذي يواجهنا في السـوق وبين الحوانيت فقال له "يا فقيه، لي فيه غرض" فقلت له "وما هو يا مولاي"، فقال: "اغتنام دعوة صـالحة، والتعرض لرفع ظلامة، وسـماع شـكية"(ابن مرزوق، 1981، ص 175)، فكان دائم النظر في مصـالح رعاياه رافعا لما يرفع إليه به الشـكايات ويتعين له أنَّه من الظلامات، حتى أنَّه لقد أمر بعض المرات بالنداء لأجل ذلك، وما كان يلاحظ عليه أنَّه كان شـديد الحرص على متابعة أخبار قواده وعماله بشتى المناطق واتخاذ إجراءات العقوبة ضدهم في حالة إثباتها عليهم.

من جانب آخر، يرى المنوني (2000) بأنّ السلطان يوسف المريني التفت إلى تحقيق المكاييل المغربية، إذ جعل الصيعان المرينية على عهد النبي عليه الصلاة والسلام ما يعادل كيلا سعته (2914) لتر وستون من هذا الصاع، وهو ما يسمى بالمغرب بالصحفة وهو ما يعادل كيلا سـعته (365.544) لتر ، يرى الفاسـي (1972) انه سـعى إلى تطبيق ذلك (تحديد الصاع) أيام حدوث مجاعة (693هـ/1296م) حسب قول صاحب الأنيس "كانت المجاعة الشـديدة والوباء العظيم فكان الناس يحملون من الموتا أربعة وثلاثة واثنين على نعش، وبلغ القمح فيها عشـرة دراهم للمد والدقيق سـتة أواقي بدرهم وفيها أمر أمير المسـلمين يوسـف بتبديل الصـيعان وجمعها على مد النبي عليه أزكى الصـلاة والسـلام وذلك على يد الفقيه عبد العزيز الملزوزي، ومع دخول سنة 694هـ/1297م استقام الحال وصلح أمر الناس ورخصـت الأسـعار في جميع الأقطار، فبيع القمح بعشـرين درهما للصـحفة"(أورد في: الفاسي،1972، ص384) .

▪ **اهتمام السـلاطين بتشـييد المرافق الطبية والاجتماعية والتعليمية:**لا سـبيل لإنكار ما قدمه خلفاء بني مرين لفقرائهم ومحتاجيهم من إعانات مادية أو معنوية، فمتون مصـادر الفترة أمطرت شواهد وقرائن دالة على كثرة عطاء وسخاء هؤلاء السلاطين لفقرائهم، بالإضـافة إلى تدشينهم وتسخيرهم وتوقيفهم اوقافا من مرافق ودور خدمة لهم.

و في هـذا المنوال، اعتبر الفـاسـي (1972) الأمير يعقوب بن عبـد الحق (656هـ/1258م) وكان أكثر من اهتم بخدمة الرعية ، فلما استقام له الحال صنع المارستان

للمرضـــى والمجانين، وأجرا عليهم النفقات وجميع ما يحتاجون إليه من الأغذية والأشـــربة، وأمر الأطباء بتفقد أحوالهم كل يوم غدوة وعشـــية، وأجرا على الكل الإنفاق من بيت المال، وأجرا على الجذما والعميان والفقراء مالا معلوما يأخذونه في كل شهر من جزية اليهود، وبنا المدارس ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن وطلب العلم، وأجرا عليهم المرتبات في كل شـــهر، كل ذلك ابتغاء ثواب الله ورحمته ، كما نستشف نصا آخر يجسد لنا حجم مساعدة السلطان للفقراء حسب شهادة ابن مرزوق (1981: ص 191) أيضـا" وما ذكر عنه في مساعدة الضعفاء والمحاويج أنَّه اشترى يوما دار من أسرة آل خالد المتواجدة بالسوق بتسعين ألف درهم، فلما كان الليل ســـمع بكاء ومعاناة هذه الأســـرة، فارجع لهم الدار والمال معا وهذا لا يفعله إلا سلطان كريم تقي يخاف الله.

وفي نفس الاتجاه، ذكر الفاسـي (1972) بعض المواقف المشرفة تجاه الفئات الفقيرة والمحتاجة فقد أولى الأمير أبو محمد عبد الحق اهتماما كبيرا بهذه الشـــريحة فكان يطعم الطعام، ويكفل الأيتام ويؤثر على نفسه المساكين ويحنوا على الفقراء والمسضعفين. وبالمثل فعل السلطان يوسف برعايته للأيتام فقد أمر بتطهيرهم وكسوتهم والإحسان إليهم بالدراهم والطعام في كل عاشـــوراء، و بنى الزوايا في القرى وأوقف عليها الأوقاف العديدة لإطعام عابري الســـبيل وذوي الحاجات. كما كان يخصـــص وفقا لمرزوق (1981) ليلة الاحتفال بالمولد النبوي الشـــريف جزءا خاص من الصـــدقات للفئات المحرومة. فهذا الســـلطان أبو الحسن كان كريما جواد مع المحتاجين وحسبنا في ذلك شهادة ابن مرزوق، "فكانت الخيرات خلال هذه الليلة لا تزال بســـبب الاعتناء بها على الحضـــور من الخاصـــة والعامة متكاثرة ومتظافرة، فكانت الأشياء التي تفضل لكثرتها تقسم على الفقراء على قدر استحقاقاتهم ويجمع لهم من ذلك العدد الكثير".

كما اهتم السلطان أبو لحسن بتجديد المارستان بمدينة فاس وغيرها، وقام بالأمر ذاته السلطان أبي عنان فقد بنى مارستان بمدينة سلا وسط حارة اليهود وهو كما يذكره المؤرخ ابن علي الدكالي بناء حافل، مشتمل على بيوت كثيرة لاستقرار المرضـــى والمجانين والحمقى، وأجرى له الماء من الداخل، ورتب له أبو عنان قومة وأطباء وكان في القديم فندقا للزيت. كما برزت لمسة السلطان عثمان بالنسبة للفاسي (1972) حيث أمر بتسريح المساجين إلا أهل الفساد في الأرض، وتوزيع الصدقات على الضعفاء والمساكين وأهل الستر من البيوتات،

وكان فاتحا للضـــعفاء بالخير بابه، فوطأ الرعية بالحلم بابه، فأفاض عليهم عدله وبذل إنصافه.

وبالمقابل ظهرت طيبة السلطان أبو الحسن مع رعيته إذ ورد في مرزوق (1981) عنه أنَّه اشترى ساحة جامع العباد بتلمسان بحساب شبر بدينار، فجاءت عنده امرأة وقالت له "يا مولانا، توصـي علينا هنا فانا يصـعب علينا السكنى في غير هذا الموضـع"، فوقف وأمر في بقية الساحة ببناء دار تشتمل على مساكن كفت جميع أهاليهم".

ومن حسنات وبر السلطان يوسف وشفاعته للضعفاء والمساكين أيضا تبعا للسلاوي (1997)، تفريق الأموال عليهم وإجزال الصـلات وتسريح أهل السـجون، كما رفع عن الناس الأخذ بزكاة الفطر ووكلهم فيها إلى أمانتهم وكف أيدي الظلمة والعمال عن الناس.

و يرى مرزوق (1981) أن مسـاعدة الفقراء والمحتاجين كانت سـمة راسـخة في عقول وقلوب خلفاء بني مرين فما ذكر عن السـلطان أبو الحسـن ومسـاعدته للضـعفاء والمحاويج ليس بقليل، فقد ورد في احد النصوص أنَّه "أعطى الضعفاء أهل تلمسان اثنا عشر ألف دينار واثنا عشر ألف كساء، ومن الطعام مطامير لا تحصى كثرة". وبالمثل اتصف الأمير عثمان ابن عبد الحق بشـفقته وعطفه على الفقراء فحسـب قول ابن زرع "كان متواضـعا مع رعيته، كثير الصدقة".

ويظل أبرز مثال ما قام به السلطان أبو الحسن تجاه من علت سنه ووهنت قوته حسب مرزوق (1981) فقد أجرى على من اتصـف بالشـياخة من الضـعفاء ولازم الخير رواتب تكفيهم ورسـمهم في جرائد عماله شـيوخ الجامع، وبنا لهم دورا وأجرى لهم كسـاء في كل عام تكفيهم. وكان من شـيمه الخيرة يسـأل المحتاجين عن عدد عائلتهم، وأين يختاروا سـكناهم، وعن اختيارهم للموضـع الذي يخترونه سكنا لهم فاذا اختاروا موضـعا، أعطاهم ما يحتاجون إليه من كراء بحســب ذلك، ومن كان لديه حرث وزراعة كتب له بتحرير ما يحرث به، بقدر حاجته...، كما أوصـى الأمناء في ربوع البلاد على الاهتمام بالصـناع من أهل كل صـناعة، ومثال ذلك أنَّه أوصـى "على امرأة كانت سواقة تنادي على السلع بالدور، فكتب لها بالوصـية عليها".

وأضاف مرزوق (1981) مثال آخر يبرز محامد وكرم السلطان أبو الحسن إذ يقال أنَّه سمع برجل من رندة أن له أولاد زهاء عشرة، كلهم فرسان مجاهدون، فطلبه السلطان وسأله عن حاله فاخبره بأن الفقر آذاه وأتعبته القلة والفاقة، فكان رد السلطان له "كفيت". فأمر لحينه بكســـى ومراكب على عدد أولاده، وأعطى كل واحد مائة دينار ذهبا، وأعطاه بلدا جعل له فوائده ومجابيه، وأعطاه دارا، وكسوة لسائر أهله، واخدمه خدما، وكتب له بمرتب له ولأولاده، وجعل لأولاده محترثات على عددهم".

أما عن الخدمات ذات الطابع النفعي فقد اهتم الكثير من السلاطين ببناء وتشييد العديد من الأسواق والدور والمساجد والمدارس والزوايا والأربطة وغيرها من المرافق المهمة .

- **نظام الوقف ودوره في المساهمة في تحسين معيشة الفئات العامة:**بيّن حسن (2003) أنّه تم تطبيق اوقافا لخدمة مصالح الناس في حياتهم اليومية فهذا السلطان يعقوب ابن عبد الحق واليه يعود الفضل في تجديد دار صناعة السفن بسلا، كما قام بإنجاز دار أخرى للصناعة بتطوان سنة (685هـ/1286م) ، إلى أنه بنا في أيام ملكه مدينتين: فاس ومدينة بالجزيرة الخضراء، وبنا بالمدينتين الجوامع والحمامات والأسواق وبنا القناطر بالطرقات مثل قنطرة وادي النجا وقنطرة مارين.و أضاف المنوني (2000) بأنّه عمد إلى بناء صرح كبير لخدمة الدين فبنا الجامع الكبير الذي لا يزال قائما لحد اليوم حسب كلام المنوني والذي أسس عام (677هـ/1279م) بمداخيل معصرة مكناس، كما أسس دار لضرب السكة بفاس بالقرب من القصر الملكي، ويعود له الفضل في بناء أقدم مدرسة وهي مدرسة الشماعين سنة (670هـ/1271م)، بسوق النحاس في فاس وزودها بمكتبة للطلبة من سواد الشعب ما لبثت أن نقلت إلى جامع القرويين.

كما بيّن إبن خلدون (2000) أنّ السلطان يوسف اوقف أراضي لبعض القبائل مثل قبائل بنو ورا وذلك لأجل تفاديهم وتامين الطرق من شرهم. و يضيف الفاسي (1972) من أوقافه أيضا بناؤه لزاوية تافرطاست على قبر الامير عبد الحق، كوقف لعابري السبيل على الدوام سنة 685هـ/1285م، وتصدق عليه بمحرث أربعين زوجا و ورد في الوزان (2005) بناؤه زاوية أخرى تقع شمال غرب فاس بحوالي اربعة وعشرين ميلا (الوزان، 2005، صفحة 294)، كما جاء في ابن خلدون (2000) أنّه شيد حمامات عامة وخاصة لخدمة السكان

مثل حمامات المنصورة ووجدة وتاوريت. ولعل خدمته للعلم وأهله أخذ جانبا كبيرا من اهتمامه فقد بنى العديد من الكتاتيب والمساجد والجوامع والمدارس إضافة إلى الزوايا وزود تلك المعاهد التعليمة بمدرسين أكفاء يسهرون على تعليم الطلاب وأوقف عليهم أوقاف تخدم مصالحهم وذلك كله لأجل ازدهار الحركة العلمية والثقافية للدولة المرينية حسب صاحب العبر في قوله "فأمر ببناء الحصون والقلاع والمدن والمساجد لتعمير بلاده.

كما اضطلع السلطان أبو الحسن إلى بناء المدارس، فيقول مرزوق (1981) أنَّه لا خفاء في فضيلة نشر العلم وبثه له، فقد انشأ في كل بلد من بلاد المغرب الأقصى والأوسط مدرسة منها مدرسة بتازا، ومكناسة وبالعباد ظاهر تلمسان وغيرها من المدارس ، وإنشاء الكثير من المحارس التي أمنت السواحل في أيامه وأيام أبنائه من بعده ، أما بناءه للمساجد والجوامع فقد كان له فضل كبير في ذلك، فله بمدينة فاس مسجد الصفارين ومسجد حلق النعام، ومساجد أخرى بالمدينة البيضاء والمنصورة بتلمسان (جامع القصبة )، وغيرها من المساجد عبر مختلف المدن.

و أكّد السلاوي (1997) على أنَّ السلطان أبو العنان كان له فضل كبير على الناس قليلي الدخل ففي سنة (750هـ/1452م) نادى بالعطاء وأزاح العلل. وفي اطار الاهتمام بالأوقاف بيّن المنوني (2000) أنّ أبو عنان خصص دارا للناظر في الأوقاف والاحباس وعدة زوايا كالزاوية الكبرى التي ابتناها بخارج فاس أحد أبواب آفراك، واعدها هناك للغرباء، ولمن اضطر إلى المبيت بها من التجار وغيرهم، متعددة المساكن، وبنائه للزاوية المتوكلية على غدير حمص 754هـ/1357م بمدينة فاس.

❖ **خاتمة:** ان معالجة موضوع الحياة الاجتماعية في مجتمع ما يستدعي منا رفع واظهار خاصيتين اساسيتين: الحياة السياسية وأثرها على افراد المجتمع من جهة وابراز مدى مساهمة الحكام في احتواء المشاكل الاجتماعية. وما هو غني عن التأكيد، فقد اعتبرت ازمات الحياة الاجتماعية من المشكلات العويصة قديما وحديثا، وازداد خطرها عندما كثرت الحروب والفتن بين الدول بسبب التنازع حول البقاء ، والمغرب الاقصى خلال العصر الوسيط لم يكن بمنأى عن مثل هذه الاحداث، فقد رصدت متون مصادره العديد من

النصـــوص الكفيلة برصـــد صـــورة تقريبية عن معاناة الافراد والاســـر جراء بعض الازمات الاقتصـادية والاجتماعية. وعموما فقد اسـهمت دراسـة موضـوع جوانب من اسـهامات بعض الحكام المرينيين في الحياة الاجتماعية ما بين القرنين السـابع والتاسـع الهجويين ، في ابراز وحرص الحكام المرنيين تجاه الفئات الهشـــة ومحدودي الدخل لاســـيما في اوقات المحن والشـدائد، وتكافلهم مع الفقراء والمحتاجين في تحبيس لهم بعض الاوقاف لضـمان لهم مورد يســـترزقون منه، وحماية لهم من خطر الفقر ، وتقديم لهم مســـاعدات مادية، كفتح المطامر والمخازن للمتضـررين جوعا ، وكساء الضـعفاء والمساكين ، وقضـاء حوائجهم ، وازالة عنهم بعض المغارم الجبائية ، وتوفير لهم بعض الرعاية الصـــحية كبناء المرافق الاســـتشـــفائية للتداوي والتطبيب.

وصـــفوة القول، ان الاهتمام بحياة افراد المجتمع المريني خلال الفترة المدروســـة كانت من أولويات وأهل وســـاســـة المغرب الأقصـــى، إلا أن المصـــادر التاريخية اعترتها نوعا من الضـــبابية حول دورهم ومجهوداتهم تجاه هذه الفئات من المجتمع، على خلاف ما حظيت به أعمالهم وجهودهم في الجانب الفكري، والثقافي والعسكري والسياسي من قبل المؤرخين، لذلك اقتصرنا على ذكر بعض جهود السلاطين وهذا لا يدل على أن السلاطين الآخرين لم يقدموا خدمات وإسـهامات لأفراد مجتمعهم وإنما ذكر المصـادر لهم كان مقتضـبا نوعا ما، لاسـيما سلاطين فترة نهاية الدولة.

وعلى الرغم من الجهد المبذول في جمع المادة الخبرية المبعثرة بين المتون الاصـــلية للمصـادر، يظل البحث يتطلع الى تلاقي النقائص ، ويستدعي الامر كما معرفيا آخر ، لسد الثغرات الموجودة في ثنايا المقال.

## ❖ قائمة المراجع:


1. *إبراهيم ،حركات (1978). المغرب عبر التاريخ.. الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة.*
2. *ابن أبي زرع،الفاسي (1972). الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرنية. الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة.*
3. *ابن الحاج، النميري (1990). فيض العباب واقاضة قداح الاداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب. بيروت: دار الغرب الإسلامي.*
4. *ابن الوليد اسماعيل، ابن الأحمر (1962). روضة النسرين في دولة بني مرين. الرباط: المطبعة الملكية.*

5. ابن مرزوق، التلمساني (1981). المسند الصحيح في ماثر ومحاسن مولانا ابي الحسن،. (تح: ماريا خيسوس بيغيرا،، المترجمون) الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

6. الحسن، الوزان (2005). وصف إفريقيا. (حميدة ترجمة: عبد الرحمن، المترجمون) الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الاسرة.

7. الطنجي، ابن بطوطة (1997). رحلة ابن بطوطة، مج4. (عبد الهادي تحقيق: التازي، المترجمون) الرباط: مطبعة المعارف الجديدة.

8. القيرواني، ابن ابي دينار (1286). المؤنس في اخبار افريقية وتونس (الإصدار 1). تونس: مطبعة الدولة التونسية بمحاضرتها المحمية.

9. اشهاب الدين أبو العباس ،السلاوي (1997). الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، ج3. (الناصري ومحمد الناصري تح: جعفر، المترجمون) الدار البيضاء: دار الكتاب.

10. عامر احمد عبد الله، حسن ,(2003). دولة بني مرين: تاريخها، وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في اسبانيا (668-869هـ/1269-1465م). رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط غير منشور، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين. .

11. عبد الرحمان، ابن خلدون (2000). المقدمة. بيروت: دار الفكر.

12. عبد الله ،العروي (1994). مجمل تاريخ المغرب. بيروت: المركز الثقافي العربي.

13. عمر، سعيدان (2003). بنو مرين بالمغرب وعلاقاتهم باسبانيا القطلانية. تونس: منشورات سعيدان.

14. مجهول (1979). لحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية. (،تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، المترجمون) الدار البيضا: دار الرشاد الحديثة.

15. محمد، المنوني (2000). ورقات عن حضارة المرنيين. الرباط: مطبعة النجاح الجديدة.

16. محمد بن محمد الاندلسي الوزير، السيراج (بلا تاريخ). الحلل السندسية في الاخبار التونسية. (تح/ محمد الحبيب الهيلة، المترجمون) لبنان: دار الغرب الاسلامي.

17. محمد بن محمد بن مصطفي المشرفي (2005). الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد مفاخرها الغير المتناهية. (تح: ادريس بوهليلة ،، المترجمون) المملكة المغربية: منشورات وزار ة الاوقاف والشؤون الاسلامية.

18. محمد، شريف (2006 ). سبتة الإسلامية –دراسات في تاريخها الاقتصادي والاجتماعي (عصر الموحدين و المرنيين ). الرباط:

19. محمد عب الحي الادريسي الكتاني، الفاسي (بلا تاريخ). نظام الحكومة اللبوية المسمى التراتيب الادارية. (تح: عبد الله الخالدي، المترجمون) لبنان: مطبعة الارقم.

20. نضال مؤيد مال الله عزيز، الاعرجي (2004). الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني، رسالة ماجستير في التاريخ غير منشورة. جامعة الموصل.

21. نعيمة، هراج التوزاني (1979). الأمناء بالمغرب في عهد مولاي الحسن، مساهمة في دراسة النظام المالي بالمغرب. الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة.

22. يوسف علي، بدوي (2010). عصر الدويلات الاسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد الى السقوط. لجزائر: دار الاصالة.